

تحليل الثنائيات الضدية في الشعر الحسيني لجعفر الحلي «قصيدة وجه الصباح نموذجاً»

يوسف متقيان نيا^١، عبد الوحيد نویدی^٢

١. (الكاتب المسؤول) دكتوراه في اللغة العربية وآدابها من جامعة شهيد تشرمان أهواز، أهواز، إيران. joseph.mitaghi@gmail.com

٢. أستاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشرمان أهواز، أهواز، إيران. a.v.navidi@scu.ac.ir

الملخص

ألهمت عزيمة الإمام الحسين (ع) وإثاره في وجه الظلم الشعراء للإشادة بفضائله وشجاعته، وبات رمزاً للصمود ومنازة أمل للساعين إلى الحقيقة والعدالة من هنا حاول الشعراء إبراز هذه الظلامة التاريخية بأنماط تعبيرية مختلفة، وكانت الثنائيات الضدية نمطاً تعبيرياً قائماً على الفكر والعاطفة. مما يدعو القارئ للتفاعل مع النص على مستوى أعمق لذلك وقع الاختيار على قصيدة «وجه الصباح» لجعفر الحلي لدراستها باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، مستعيناً بالإستقراء التام لأبيات القصيدة، وتبين الثنائيات المتضادة ودورها العقدي والجمالي فيها ويتميز البحث بهذه الظاهرة الواسعة في النقد الأدبي والفكر الحديث وأهمية الشعر الحسيني وتظهر نتائج البحث أنّ الثنائيات الضدية كانت حاضرة بقوة في قصيدة «وجه الصباح» لجعفر الحلي، حيث استطاع الشاعر تكثيف الدلالات والمشاعر والتعابير بصورة مختزلة وأحاسيس متناقضة وظف الشاعر ثنائية الليل والصباح بدلالات متراكمة عن الهمم والأرق ليبرز صورة قلقه واضطرابه الفكري ثنائية أهل البيت وبني أمية استخدمها بالنسق المضمحل لتكشف التناقض بين معتقد الحسين وحقانيته، وجور أعدائه الأمويين في ثنائية الخوف والشجاعة رسمت الثنائية الضدية صوراً بلاغية تدل العزيمة والأقدام الثابتة للحسين وأصحابه، وبلغت ذروتها في مشهد قتاله العباس (ع)، حيث يكرر وجهه المبتسم وأعداؤه المنهزمون في ثنائية الحزن والألم يصور مشهداً درامياً في قتل العباس (ع) تختلط فيه دمة الحسين وغربته بشماتة الأعداء وتماديهم وسيبهم للخيم والنساء

الكلمات الرئيسية: النقد الجديد، الثنائيات الضدية، الشعر الحسيني، جعفر الحلي

ألهمت ملحمة كربلاء عدداً لا يُحصى من الشعراء، والكتّاب، والمسرحيين، والفنانين لإبداع أعمال تُخلّد ذكرى تضحية الإمام الحسين وأصحابه بحيث «رأى الشعراء في الإمام الحسين المثل الفذّ لصاحب القضية النبيلة الذي يعرف سلفاً أن معركته مع قوى الباطل ستؤدي إلى شهادته وشهادة أصحابه، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يبذل دمه الطهور في سبيلها موقناً أن هذا الدم هو الذي سيحقق لقضيته الانتصار والخلود، وأن في استشهاده انتصاراً له ولقضيته» (عباس، ١٩٧٨: ١٦١) وتردد أصداء العدالة والاستشهاد والوقوف في وجه الظلم بقوة في هذه التعبيرات الفنية، حيث «ظهر أثر واقعة الطف واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وما حلّ بأهل البيت عليهم السلام من الاضطهاد والقتل وهتك حرمتهم في الفنون الأدبية، حيث نجد أروع المراثي في تسجيل هذه الأحداث والمأساة العظيمة؛ والسيد جعفر الحلبي شاعر شيعي قد عبر عن هذه المأساة العظيمة في ديوانه، حيث شكّلت المراثي قسماً أساسياً وموضوعاً رئيساً من أشعاره» (عذاب حسن، ٢٠١٨: ١٩١) ويتمتع جعفر الحلبي بفهم عميق للمشاعر والأحاسيس المحيطة بأحداث كربلاء ومن خلال مراثيه، يجسد الألم والحزن والأسى الذي شعر به أتباع الإمام الحسين، وينقل رسالة المقاومة ضد الظلم والاستبداد

ومن الظواهر التي برزت في الملحمة الحسينية هي الثنائيات الضدية حيث تصارع الحق والباطل، والدين والدنيا، وكان الحسين عليه السلام يقف أمام الطيغان والاعوجاج في الأمة الإسلامية، فهذا الالتزام الحسيني الراسخ بالحق والعدل في وجه الظلم والفساد يُمثّل قدوة وثيمة متجددة في الشعر والأدب لذا يجدد المتمعن في الشعر الحسيني أنّ لهذه الثنائيات الضدية حضوراً فعالاً وانعكاساً فكرياً وأدبياً، يبيّن الشاعر من خلالها عقيدته وفكره الملتزم من هنا تجسد الثنائيات الضدية البناء العقدي والفكرة الكونية للشاعر لأنها مرتبطة بالنقد والتحليل، فالثنائيات المتضادة نظرة فلسفية عميقة أخذت طريقها إلى النقد وسكبت على الأدب فهي انعكاس لمظاهر الكون، وتعبير عن النفس المتقلبة وصراعها في هذا الوجود وتكرر هذه الثنائيات في جسد النص، تكتسب فاعليتها عبر انحلالها الذي يكشف عن نفسية الكاتب، ومدى تأثره بالبيئة التي تُعدّ منبع التضاد تعكس بصدق تصورات الراوي وموافقته تجاه الوجود، وهي متأصلة في النفس البشرية، ومتصلة أشدّ الاتصال بها، وتظهر الجمال وتثير النفس وتحركها وتؤثر فيها وقد حظيت ظاهرة الثنائيات المتضادة باهتمام الناقلين والباحثين في العصر المعاصر (الديوب، ٢٠١٧: ١٨ - ٢٥) لذا فهذه الظاهرة مرتبطة بعلوم عديدة، وتتميّز بنشأتها الفلسفية ومن هذا المنطلق تمّ اختيار نموذج من الشعر الحسيني لدراسته بناءً على هذه الظاهرة، لأنّ هذا الشعر يمثّل تيارى الولاء والتخاذل والشهامة والجبن والعقيدة والعهجية في آن واحد

١-١. أهمية البحث وضرورته

تتجلّى أهمية البحث وضرورته في كونه يدرس ظاهرة الثنائيات الضدية التي تعدّ من أبرز الأدوات النقدية في التحليل الأدبي والفكري الحديث، خاصة عندما تقترن بالشعر الحسيني الذي يمثّل تياراً وجدانياً وعقائدياً يعكس الصراع بين الخير والشر، والحق والباطل وتبرز ضرورة هذا البحث في كونه يسلط الضوء على شعر السيد جعفر الحلبي، أحد أبرز شعراء المراثي الحسينية، الذي استطاع من خلال قصيدة «وجه الصباح» أن يصوغ الصراع الدرامي لكربلاء في قوالب فنية تقوم على التضاد، مما يمنح النص الشعري أبعاداً جمالية ودلالية متعددة

١- ٢ أسئلة البحث

من هنا يحاول البحث أن يجيب عن الأسئلة التالية:

١ أي الثنائيات الضدية كانت حاضرة في قصيدة «وجه الصباح» لجعفر الحلي؟

٢ ما فاعلية الثنائيات الضدية ودورها في قصيدة «وجه الصباح» لجعفر الحلي؟

١-٣ منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وقد تمّ اختيار قصيدة «وجه الصباح» للسيد جعفر الحلي نموذجاً للدراسة نظراً لما تحمله من ثراء في توظيف الثنائيات الضدية على المستويين الفكري والجمالي واعتمد الباحث في جمع المادة العلمية على الاستقراء التام لأبيات القصيدة بغية حصر جميع الثنائيات المتضادة الواردة فيها ثم انتقل إلى مرحلة التحليل والتبيين، حيث تم تصنيف هذه الثنائيات بحسب طبيعتها الدلالية، وتحليل كيفية توظيفها في بناء الصور الشعرية وتكثيف المشاعر والأحاسيس المتناقضة كما ركز التحليل على كشف الدور العقدي لهذه الثنائيات في إبراز الصراع بين الحق والباطل، ودورها الجمالي في إثراء النص وإضفاء أبعاد درامية وتأثيرية على المشاهد الحسينية المصوّرة في القصيدة

١- ٤ خلفية البحث

هناك دراستها مختلفة تناولت ظاهرة الثنائيات الضدية، منها ما يلي:

كتاب لسيمير الديوب عنوانه: «الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالاته»، نشر في العتبة العباسية، ويمكن القول بأنه الكتاب الأكمل الذي ناقش الظاهرة من جوانب عدة وبنيتها ومدى علاقتها بطبيعة النفس البشرية، وخصّص جانباً للتراث الفلسفي العربي والإسلامي خاصة عند كل من الفارابي، وابن سينا، وابن رشد، والغزالي

مقال لعيسى زارع درنياني عنوانه: «التحليل النفساني في رواية حبي الأول لسحر خليفة على أساس الثنائيات المتضادة والمتنازعة عند ليفي شتراوس» نشر في مجلة لسان مبین وجاء في نتائج البحث أنّ المفاهيم الثنائية تشكل جزءاً من طبيعة الشخصيات في الرواية، وتمتد إلى جميع مواقفهم النفسية وتنظيمهم الاجتماعي، وظهرت ثنائيات متضادة مثل: امرأة اليوم وامرأة الأمس، والمقاتلون والسياسيون، وخونة وموالون، وشرق وغرب، والفلسطين والاسرائيل في الرواية المذكورة

مقال لعلي باقر طاهري نيا وروح الله مهديان عنوانه: «دوگانگی و تقابل در رمانهای سحر خلیفه» نشر في مجلة ادبيات پايداري، وتناول البحث تناول ثنائيات مثل: الثري والفقير، والمرأة والرجل، وفلسطين وإسرائيل، وحاول الولوج في الجانب النفسي

مقال لجمال طالبي قرهقشلاقي وعسكر بابازاده اقدم عنوانه: «فاعلية الثنائيات الضدية لبناء الدلالة في شعر عبدالوهاب البياتي؛ مقاربة في ضوء النظرية البنوية» نشر في مجلة دراسات الأدب المعاصر وتوصل البحث إلى أنّ الثنائيات الضدية في شعر البياتي تحرّرت من ضيق الرؤية في استعمال المفردات المتضادة لفظاً مقابل الآخر، وأخذت دلالات سياسية واجتماعية مختلفة منها نقد السلطات السياسية، ونقد الأوضاع المأساوية التي يعيشها الشعب العراقي وقد عقد البياتي بين الحب والثورة علاقة تلازمية فأظهرت النماذج أنّ الثورة لا تتحقق إلا بالحب

وأما أهم البحوث التي كتبت عن شعر جعفر الحلبي، فهي:

مقال لحيدر عنوانه: «المقاربات التداولية في قصيدة (وجه الصباح) للشاعر السيد جعفر الحلبي» نشر في مجلة المحقق ومن نتائجه أنّ لغة الشاعر ترتبط بلغة القرآن، حيث تعددت فيها الأفعال الكلامية ومن أهمها الأفعال الإنجازية

مقال لرضا عرب البافрани عنوانه: «ميمية السيد جعفر الحلبي الحسينية؛ دراسة صوتية» نشر في مجلة المحقق، نتائج هذا البحث أظهرت أنّ القصيدة الميمية لسيد جعفر الحلبي تتميز ببنية موسيقية معقدة تشمل تكرار الإيقاعات الصوتية والتناغم بين الحروف كما أبرز التحليل الإحصائي دور التكرار الصوتي والوزن الشعري في تعزيز الجمالية الموسيقية للقصيدة وأخيراً، تؤكد الدراسة أنّ هذه الخصائص الموسيقية تلعب دوراً رئيسياً في التأثير العاطفي على المتلقي وتمييز الشعر عن أشكال التعبير الأخرى ويتبين لنا من المسح السابق أنّ ظاهرة الثنائيات الضدية لم تدرس في الشعر الحسيني لجعفر الحلبي حتى الآن، ومن الممكن أن تضيف هذه الدراسة توضيحاً ممتهجاً لحضور ودلالة هذه الظاهرة في الشعر الحسيني

٢ الإطار النظري للبحث

١-٢ الثنائيات الضدية؛ اللغة والاصطلاح

تعكس الثنائيات المتضادة جانباً أساسياً من جوانب الإدراك البشري واللغة، فإنّ مفهوم العنصرين المتعارضين متأصل بعمق في العديد من الثقافات وأنظمة المعتقدات، ويسمح هذا التفكير الثنائي بتمييزات وتصنيفات واضحة، مما يسهل علينا فهم الأفكار المعقدة والتواصل بشأنها ومن الجانب اللغوي «تعود الثنائيات إلى الجذر الثلاثي «ث، ن، ي»؛ ومن معانيها تكرار الشيء مرتين متواليين» (شرتوني، ١٣٧٤: مادة ثني) ويذكر ابن منظور معني آخر هو: «ردّ الشيء بعرضه على بعض» (لاتا: مادة ثني) ونظر إليه صليبا في معجمه الفلسفي بنظرة مختلفة حيث قال: إنّ الثنائي من الأشياء ما كان ذا شقين» (٢٠٠٧م، ج١: ٣٧٩) ومن الجانب الفني فهي «بنية مركزية فاعلة تكشف عبر وظيفتها أنماط الأنساق المتضادة داخل الخطاب إذ تتحد الضديات عند الشاعر لخلق تصورات معينة تجاه الحياة والكون» (عليقات، ٢٠٠٤: ٢٢٩) وتتمثل الوظيفة الجمالية والدلالية للثنائيات الضدية تتمثل في تمهيد الأرضية أمام المتلقي لاستيعاب البنية المركزية للنص من خلال الوحدات اللغوية المزدوجة، كما تفتح فضاءات جديدة لخيال القارئ أن يرتاد آفاقها، ويستنبط من النص قراءات متعددة (طالبي قره قشلاقي وبابازاده اقدم، ٢٠١٤: ٣٠) والتناقض بين هذه الثنائيات هو ما يمنح الحياة عمقها وثنائها فمن خلال تجربة كلا طرفي الطيف، تتمكن من فهم تعقيدات الوجود

إضافة إلى ذلك تساعد الثنائيات، المتلقي في استحضار ما غاب من المعاني؛ لأنّ الحديث عن الضدّ يذكر القارئ ضدّه ويحضره عنده ومن الناحية التأثيرية تعبر الثنائيات عن توترات الواقع، ومعاناة الوجود، ويؤثر الجمع بين المتضادين في وجدان المتلقي، وترتبط الثنائيات الضدية ارتباطاً وثيقاً بالوجود والمشاعر الإنسانية، وصفاء النفس فالحالتان المتضادان إذا تتالتا، أو اجتمعتا معاً في نفس المدرك كان شعوره بهما أتم وأوضح، وهذا لا يصدق على الإحساسات والإدراكات والصور العقلية فحسب، بل يصدق على جميع حالات الشعور كاللذة والألم والتعب والراحة فالحالات النفسية المتضادة يوضح بعضها بعضاً وبضدها

تتميز الأشياء، وقانون التضاد أحد قوانين التداخي والتقابل (الديوب، ٢٠١٧: ٢٠ - ١٩) وأخذ هذا القانون التبلور في الأدب بجميع نواحيه وأشكاله

٣ القسم التطبيقي

في هذا القسم سيقوم البحث بتحليل قصيدة «وجه الصباح» لجعفر الحلي وفق هذه الظاهرة، وسنبين الثنائيات الضدية ودورها النفسي والجمالي

٣-١ ثنائية الليل والصباح

جاء الليل في التراث اللغوي العربي بمعنى الظلام وغياب النور، وقال الخليل: الليل عند العرب الظلام، والنهار الضوء (ذهبي، ١٣٨٧، ج٣: ٣١٩) وبمعنى الهدوء والسكون بعد العمل والطلب، و«النهار، والصباح، والفجر، والنور، والضياء» (طراد، ٢٠١٠، ج١: ٥٧٠) تعدد من الألفاظ المضادة له ويبدأ الحلي قصيدته بثنائية الصباح والليل، ليرمز مكنون نفسه من الهم والغم، ففي مطلع القصيدة يقول:

وجه الصباح على ليل مظلم
والليل يشهد لي بأنني ساهر
قلقاً تقلبني الهموم بمضجعي
وربيع أيامي على محرم
إن طاب للناس الرقاد فهموما
ويغور فكري في الزمان ويثهم

(الحلي، ١٣٧٠: ٤٢٩)

يستخدم الشاعر في المقتبس السابق ثنائية الليل والمفاهيم المرتبطة به مثل الظلام، والسهر، والرقاد، والهموم، والمضجع والاضطرابات الفكرية مقابل الصباح، بشكل متناقض ومتكامل ليعبر عن حالته النفسية المضطربة والألم الذي يعيشه فيستعير الشاعر الليل لاضطراباته الداخلية وصراعاته، مسلطاً الضوء على الظلام والظلال التي تحجب عقله، ويرمز مفهوم اليقظة إلى عجزه عن إيجاد الراحة، إذ يتلى بالهموم والقلق الذي يُيقه مستيقظاً طوال الليل، ومن خلال مقارنة هذه المفاهيم المتناقضة، ينقل الشاعر بفعالية تعقيد حالته النفسية وعمق الألم الذي يُعانيه لذا ف«الجمع بين طرفي ثنائية ضدية يولد مسافة من التوتر يتولد عنها حركة دينامية فاعلة، فللتضاد أهمية كبرى في إيجاد شبكة علاقات تتنامى فيها الأنساق المتضادة بهدف الوصول إلى مفهوم الوحدة، أو الانسجام» (الديوب، ٢٠١٧: ٣٤) ويأتي هذا الهمم جراء مراجعة أحزان آل الرسول صلوات الله عليهم سيما حادثة كربلاء المروعة ومن جانب آخر يفترض أن يكون الصباح مظهرًا مشرقًا ومفرحًا لكنه يُظهر الشاعر تناقضاً بين وبين ما يشعر به، حيث يراه «ليلاً مظلماً»، فيعكس هذا التضاد شعور الشاعر بالحزن الدائم، فحينما يكون الوقت صباحاً أي يرمز لشروق والأمل والبدايات الجديدة يصبح عند الشاعر كالليل أي يرمز للكآبة والوحشة فهو يرى الليل معاناة وسهراً، ويشهد بذلك الليل نفسه (وَاللَّيْلُ يَشْهَدُ لِي بِأَنِّي سَاهِرٌ) مما يوحي بأنه يعاني من الأرق بسبب الهموم

علاوة على ذلك فهذا الرقاد والقلق ينبو عن الصراع الداخلي عند الشاعر؛ فالهموم لا تتركه يهنأ بنومه، بل تقلبه في فراشه كما تقلب الأمواج سفينة في بحر مضطرب، ويعاني من تأملات قاسية تزيد من معاناته، لذا يتحوّل الصباح إلى ليل، والرقاد الذي هو

راحة للناس يصبح مستحيلاً للشاعر وحين يعمد النَّاس سكينه الليل، يصوّر الشاعر نفسه بين الهمّ والأرق، ومن خلال الربط بين الهموم والأرق، والفكر المتداخل مع الزمن، يعطي الشاعر انطباعاً بأنّ أمه ليس مؤقتاً بل هو جزء من وجوده وهكذا تجدّ الشاعر مستخدماً هذه الثنائيات لرسم صورة حية لمعاناته النفسية، مما يجعل القارئ يشعر بعمق الألم والوحدة التي يعيشها ومن خلال عرض أفكار أو صور متناقضة، تُضفي الثنائيات المتناقضة توترًا وتعقيداً على النص، فتجذب انتباه القارئ إلى مواضيع أو مفاهيم رئيسية ويُسهّم هذا التوتر في إبراز الرسالة أو الحجة المحورية للنص، مما يُرشد القارئ نحو فهم أعمق لمعناه، «وتتميز الثنائيات الضدية بخاصية التحويل أي تحويل الكلمات إلى أشياء وهذا ما يجعلها مصدراً مهماً من مصادر الشعرية، فالذي يدعو إلى لفت الانتباه، وتيقظ الفكر، وشدة الاهتمام، وتوليد اللغة الشعرية التضاد لا المشابهة؛ إذ يعد الجمع بين المتضادات مولدًا أساسياً للشعرية» (الديوب، ٢٠١٧: ٣٥) لذا يوظف الحلبي هذا الثنائيات المتعددة ليرسم صورة حزينة، ومشهداً فيه الإثارة والشويق لمعرفة ما يجري بعد ذلك، حيث ينتظر المتلقي الأبيات التالية ليعرف الحدث أو القضية التي سلبت النوم من الشاعر وتسببت في سهره

٣- ٢ ثنائية أهل البيت وبنو أمية

يكشف الشاعر عن سبب سهره وآلامه التَّفسية، ويتذكّر اليوم الذي يشيبه فيه رأس الطفل الصغير من هول المنظر والمخبر، ويتمنى لو كان حاضراً وسط الطفوف والحتوف، ويقدم نفسه قرباناً للحق وإمامه وبنسق مضمر يتعرض إلى الفئة الباغية التي أذقت الحسين عليه السلام وأصحابه المرّ والهمّ، «فإنّ وجود الثنائيات الضدية يعني وجود نسق ظاهر، وآخر مضمر يستنتج استنتاجاً ولا يتعلق أمر الثنائيات الضدية بظهور طرف، وتخفي آخر وراءه، بل يتعلق بمتلقي هذه الثنائية الذي يؤولها، ويستقبلها بناء على تضاد الطرفين، وظهور طرف، وتخفي آخر» (الديوب، ٢٠١٧: ٣٥) ويتعجب كيف يتم نسيان رسالة الرسول صل الله عليه وآله وسلم وتوصيته بأهل بيته، وتشرّد وتمنع من الماء المتاح للجميع ووظّف الشاعر الثنائيات الضدية بمهارة ليكشف التناقض الصارخ بين عدالة قضية الحسين عليه السلام وجور أعدائه الأمويين، كما صور مأساة منع الماء عن معسكره بطريقة مؤثرة ففي الأبيات ينصب نفسه محامياً عن الحثين عليه السلام وقضيته، ففي الأشعار التالية يبرز زيف تبريرات الأعداء وحجتهم

ما خلت أن الدهر من عاداته	تروى الكلاب به ويظمى الضيغم
ويقدم الأموي وهو مؤخر	ويؤخر العلوي وهو مقدم
مثل ابن فاطمة بيت مشردا	ويزيد في بنابرائته متتعّم
يرقى منابر أحمد متأمرًا	في المسلمين وليس ينكر مسلم
ويضيق الدنيا على ابن محمد	حتى تقاذفه الفضاء الأعظم
خرج الحسين من المدينة خائفًا	كخروج موسى خائفًا يتكتم
وقد انجلى عن مكة وهو ابنها	فكأنما المأوى عليه محرم
لم يدر أين يريح بدن ركابه	وبه تشرفت الحطيم وزمزم

وقد أكد الحلبي على فضل الحسين عليه السلام وتقدمه على الأمويين وعلى رأسهم يزيد «ويقدم الأموي وهو مؤخرٌ ويُؤخرُ العلوي وهو مُقدمٌ» وبهذا يُظهر الشاعر انقلاب القيم الأخلاقية؛ فالأموي مثل يزيد يُقدم في السلطة رغم انحطاطه، بينما العلوي يُؤخر رغم فضله وحقه وأما تأكيد الحلبي على تفوق الحسين وقلب القيم الأخلاقية يُبرز نقداً عميقاً للسلطة الحاكمة فمن خلال إعطاء الأولوية للأمويين، الذين يُمثلون الانحطاط والفساد، على العلويين، الذين يُجسدون الفضيلة والصلاح، يكشف الشاعر عن زيف ديناميكيات السلطة الكامنة داخل الخلافة

والثنائية الضدية الأخرى الذي شردت فكر الشاعر واحساسه، هي تشريد آل البيت مقابل رفاهية يزيد فيقول: «مثل ابن فاطمة يبيت مشرداً ويزيد في لذاته متنعم» حيث يُقارن بين حياة الترف التي يعيشها الطغاة وبين تشريد الحسين واضطهاده، رغم أنه ابن فاطمة الزهراء وسبط الرسول، ما يزيد القارئ تعاطفاً مع المظلوم فيستخدم الشاعر مهارات عديدة ليرز مشهداً مؤثراً حيث وظف الحلبي اللغة الحسية والصور المؤلمة، بحيث تري صورة الحسين ابن فاطمة المُشرد المُهان تُحرك مشاعر التعاطف والألم، خاصةً مع ذكر نسبه علاوة على ذلك فمقابلته بيزيد الأموي المُترف تُثير السخط، خاصةً عند ربط الترف بظلم أهل البيت، ويكرّر الحلبي هذه المضامين ليخلق إيقاعاً متناسقاً مع فكرته فالتكرار في «يُقدم/يؤخر» و«مشرداً/متنعم» يُبرز التباين ويجعل القارئ منحازاً عاطفياً لصالح الحسين ضد يزيد من جانب آخر يخاطب الحلبي الضمير الجمعي مباشرة عبر التذكير بمظلومية الحسين، مما يُشعر القارئ بأنه جزء من هذا الظلم التاريخي، وتولد هذه الثنائية حزن لضحايا الظلم، غضب تجاه الظالم، وشعور بالحمل الأخلاقي وبهذا التذكير والتوظيف المتضاد استطاع الشاعر أن يخلق نسقاً منفرداً للتعبير الشعري حيث وظف هذا الكم الهائل من الثنائيات المتضادة، وقام بردف مجموعة من المتضادات مقابل مجموعة أخرى بجدلية قائمة على المسائلة والتشكيك في السلطة، من هنا «يتلقى المتلقي الثنائية في النسق؛ ذلك لأنه نظام مع أن نظاميته تتجلى في مخاتلته، وطبيعته المراوغة، فتقوم الشعرية على الأنساق المضمرة، وتتأسس هذه الأنساق على مبدأ الضدية على مستوى الموضوع واللغة والصورة، وهذا ما يؤدي إلى زيادة التوتر في المسافة بين ما يظهره النص وما يضمه وقد تكون العلاقة بين الثنائيات علاقة نفي سلبي وتضاد مطلق، وقد تكون علاقة توسط، أو تناغم وتكامل وإخصاب تكشف دراستها عن التركيب الضدي للعالم، والجدلية التي تتخلله» (الديوب، ٢٠١٧م: ١٦١ - ١٦٢) وهذا مال يخلق في النص شبكة متناسقة من الألفاظ والأهداف

جدير بالذكر أن الشاعر وظف الرمزية التاريخية بتصويره منع الماء عن الحسين عليه السلام حيث «تروى الكلابُ به ويظمى الضيغم» بينما تعهد الأسد هو الذي يأمر ويتسدد لكنه اليوم يحرم من الماء بواسطة الكلاب المتآمرة، فيذكر الحلبي في هذا المقتبس بفاجعة كربلاء حيث مُنع الماء عن الأطفال والنساء، بينما شربت خيول الأعداء فهنا تجدد التاريخ يتجسد في خيال الشاعر لأنه «يعكس الشاعر من خلال الارتداد اليه روح العصر، ويعيد بنا الماضي وفق رؤية إنسانية معاصرة، تكشف عن هموم الإنسان ومعاناته وطموحه وأحلامه، مما يعني أن الماضي يعيش في الحاضر، ويرتبط معه بعلاقة جدلية تعتمد على التأثير والتأثر، حيث يستلهم الشاعر أوجه التشابه بين الماضي، ووقائع العصر وظروفه، سلباً أو إيجاباً» (نصر، ١٩٩٨: ٧٧) وعندما يضيف الشاعر على الرموز التاريخية تفسيراً شخصياً وعمقاً عاطفياً، يتمكن من بناء جسر بين الماضي والحاضر، مما يتيح للقراء التواصل مع المواضيع والحقائق الكونية التي تتجاوز حدود الزمان والمكان

ويرد الشاعر الصور العاتمة والمظلمة التي مرّ بها الحسين (ع) وأصحابه، ويأتي بتشبيه رائع في قوله «ويضيّق الدنيا على ابن محمد حتى تقاذفه الفضاء الأعظم» حيث يُصوّر ضيق الأرض على الحسين (ع) رغم سعتها، كناية عن اضطهاد النظام الأموي له حتى في الصحراء الواسعة، حيث حُوصِرَ ومنع من الماء فهنا تجدّ ثنائية الأرض التي ضاقت بالحسين (ع)، ويلجأ في المقابيل إلى السماء من شدّة ظلم بني أميّة وطغيانهم، فبهذا التوظيف يبين الشاعر ندي حيرة الإمام وقلة أنصاره، ويرمز تصوير الشاعر للحسين وهو يلتجأ إلى السماء إلى ارتباطه الروحي بالله جل جلاله، وإيمانه الراسخ في مواجهة الشدائد فرغم حصاره وظلمه على الأرض، يجدّ الثقة والقوة في إيمانه بغاية أعظم وعدالة إلهية وهذه الثنائية بين الاحتجاز الأرضي والتحرر الروحي تُضفي عمقاً على شخصية الإمام، مُبرزة صموده والتزامه الراسخ بمبادئه حتى في أصعب الظروف

ولا يقتصر التهجير والحرمان إلى هذا الحدّ بل طال الإمام وأهل بيته من موطنهم الأساس و«فكأنما المأوى عليه محرم» يُظهر الشاعر غربة الحسين (ع) ويشير إلى اضطرابه للخروج منها خوفاً من القتل ويصوّر كيفية خروجه من المدينة تشبيهاً بموسي عليه السلام حين خرج خائفاً متربحاً من هنا تجدّ مأساة الحسين عند الشاعر كبيرة نابعة من سيرة الأنبياء، وكما يقول جبرا خليل فـ«أنواع شتى من مآسي الإنسان في جو القيظ والعطش والقسوة والقتل الجماعي، وحرّ الرؤوس، هناك مأساة جنون بشري، ومأساة الخيانة ومأساة القتل المجاني، وكذلك مأساة المروءة والفضيلة الحسين أكبر من الحياة، ولعله لكبره وعلوه خارج الدائرة التي يمكن للمرء ضمها أن يتوحد مع البطل، رغم تطلعه إليه ولذا يكون التعبير الفني عنه قاصراً على مداه الفاعل (الكركي، ١٩٨٧: ١٤١) وتعدّ تضحية الحسين (ع) في معركة كربلاء تذكيراً خالداً بأهمية الوقوف في وجه الطغيان والظلم، حتى في مواجهة تحديات تبدو مستعصية

٣ - ٣ ثنائية الخوف والشجاعة

تعدّ الشجاعة من الصفات المحمودة عند الناس، ويحظى صاحبها بالمكانة العالية في المجتمع، وقال الأبيهي: «اعلم أن الشجاعة عماد الفضائل، ومن فقدّها لم تكمل فيه فضيلة يعبر عنها بالصبر وقوة النفس قال الحكماء: وأصل الخير كله في ثبات القلب» (١٤١٩، ج: ١، ٢٢٣) فالشجاعة في جوهرها ليست مجرد صفة شخصية، بل هي رمز للشرف والفروسية والنبيل وأما الخوف وما يجاريه فبعيد عن المروءة والنبيل ولم يتغن الشعراء الحسنيون بشيء مثل الشجاعة الحسينية في المواقف البطولية الصعبة والحرجة وأشاد الحلبي ببطولة الحسين (ع) وأصحابه في أبيات عديدة من القصيدة، فيبدأ بموقف الصحابة الكرام حيث يصفهم قائلاً:

حفته خير عصابة مضرية	كالبدر حين تحف فيه الأنجم
ركب حجازيون بي رحالهم	تسري المنايا أنجدوا أو أنهموا
يحدون في هزج التلاوة عيسهم	والكل في تسيحه يترنم

(الحلي، ١٣٧٠: ٤٢٩ - ٤٣٠)

تصفّ الشاعر صحابة الحثين بأنهم خير عصابة يحفون الحسين ويجمعون حوله لا خائفين ولا وجلين، ومنقطعين إلى الله بالتلاوة والتسيح، فكأنما أخذوا هذا العزم والإرادة من العقيدة الثابتة، ولكن صفتهم البارزة هي الشجاعة والعزم الراسخ في مقابلة العدو، فهم:

من عزمهم طبعت فليس تكهم	متقلدين صوارماً هندية
فيها الحمام معنون ومترجم	بيض الصفاح كأنهن حائف
بأس وأم من جوانبه الدم	إن أبرقت رعدت فرائص كل ذي
تتقاعد الأبطال حن تقوم	ويقومون عواليأ خطية

(الحلي، ١٣٧٠: ٤٣٠)

يصف الشاعر شجاعة أصحاب الحسين (عليه السلام) في هذه الأبيات بأسلوب قوي ومؤثر، مستخدماً صوراً بلاغية تعكس بطولتهم وتضحيتهم، فتجدّ هولاء الصحابة متقلدين بصوارم هندية وعزيمة من حديد تتسم بالصلابة والقوة وأما السيوف فأغمدت بسبب شدة عزمهم، أي أنهم لا يحتاجون لاستخدامها كثيراً لأن هيبتهم تكفي لإرهاب الأعداء وهذه السيوف اللامعة تتربص بالموت وكل ضربة منها تحمل نهاية محتومة للعدو وفي المقابل يكون عدوهم مرتعد الفرائص من شدة الخوف والحيرة، وتفويض الدم من أجساد الأعداء كالسيل الجارف، مما يُظهر شراسة القتال وبهذه المقابلات يرسم الحلي معركة شرسة بين صحابة الحسين الأقوياء الشجعاء وبين أعداءهم الخائفين غير المطمئنين ففي هذه البنية الواحدة جمع الشاعر الثنائيات الضدية ليزداد النص جمالاً وتأثيراً، و«لعل جمالية الثنائيات الضدية تنجم عن الجمع بين ضدين في بنية واحدة، وهذا ما يؤدي إلى تعميق البنية الفكرية للنص بالحركة الجدلية بين الثنائيات الضدية ويثير اجتماع الثنائيات المتضادة الدهشة والمفارقة المتولدة عن اجتماع الضدين في موقف واحد، أو جملة واحدة، أو بيت شعري واحد؛ إذ يوفر الضد إمكان الموازنة بينه وبين ضده، وهذا ما يولد تصوراً معرفياً عن الأشياء يساعد المتلقي على استيلاء ثنائية من ثنائية» (الديوب، ٢٠١٧: ١٦٢)

ويضيف الشاعر يتغني بوقوفهم البهي بعزيمة عالية، وكلمة «عواليأ» توحى بالعلو المعنوي والمكانة، لكن الآخرين المتسمين بالبطولة (تتقاعد الأبطال حين تقوم) يتقهقرون عندما ينهضون للقتال، وفي الصورة الأخيرة يؤكد الشاعر على فرار الأعداء وخوفهم حيث أن مجرد وقوفهم يجعل الأعداء يفرون ونستطيع القول إن الشاعر يصور أصحاب الحسين كفرسان لا يُقهرون، سيوفهم تُرهب الأعداء قبل ضربها، ومواقفهم تزلزل الشجعان اللغة تستخدم التشبيهات العسكرية (السيوف، البرق، الدم) والطبائع البشرية (الخوف، العزم) لتعظيم شجاعتهم والتضحية بالنفس في سبيل المبادئ وفي مشهد آخر يصور الشاعر العدد والعدة القليلة لصحابة الحسين (ع) مقابل الجيش الأموي الكبير، ولكن البطولة متواصلة وثنائية الشجاعة تبرز في جواب الصحابة وموقفهم:

طمعت أمية حين قلّ عديدهم	لطلقهم في الفتح أن يستسلموا
ورجوا مثلهم فقلن رماحهم	من دون ذلك ان تال الأنجم
حتى إذا اشتبك النزال وصرحت	صيد الرجال بما تجن وتكنم
وقع العذاب على جيوش امية	من باسل هو في الوقائع معلم

(الحلي، ١٣٧٠: ٤٣٠)

يتبين للمتعمق في المقتبس أنّ الكثرة تنوهم والافتح والاستسلام عند رؤية العدد القليل، فيكثر الشاعر الثنائيات الضدية الأسمية والفعلية ليكتب شجاعة الصحابة بنصّ منسجم وموحد وإيقاع حماسي بطولي «فتغني النص، وتعدد إمكانات الدلالة فيه، فالتضاد الفعلي والاسمي يشكّل عالماً من جدل الواقع والذات في صراعها مع الحياة، ووفرة الثنائيات في النص الأدبي دليل

انسجام إيقاعاته، وانفتاحه على أكثر من محور، فيمكن أن نعثر على مجموعة أنساق متضادة في النص الأدبي الواحد تضفي عليه مزيداً من الحيوية والحركة، هذه الأنساق المتضادة ذات صلة بالكون الذي تصوره سواء أكان ذلك الأمر بالتضاد أم بالتكامل؛ لذا تجتمع فيها الخصائص الجمالية» (الديوب، ٢٠١٧: ١٦٢) والكثير من الثنائيات السابقة لم تحضر بصورة مباشرة بل تؤخذ من الدلالات الضمنية للنص

ومن الثنائيات الضدية المرتبطة بالشجاعة والخوف، نستطيع الإشارة إلى صولة العباس (ع) وجولته في جيش العدو حيث يكرّ ويفرّ دون منازع ومقابل ويصوّر جعفر الحلبي مشهد دخول الضيغم عباس بصورة مخيفة ومزلزلة للعدو حيث عبست وجوهم وتكدرت خوف الموت والبطش بهم، في حين أنّ العباس ضاحك ومطمئن من القتال يقول الشاعر:

ما راعهم إلا تقحم ضيغم غير ان يعجزه ويدمدم
عبست وجوه القوم خوف الموت والعباس فيهم ضاحك متبسم

(الحلي، ١٣٧٠: ٤٣٠)

وهذا دليل على شجاعة العباس وعزمه الراسخ وقدمه الثابت في مواجهة الجيش الغاشم، ففي المقتبس التالي تنعكس الشجاعة والبطولة بلغة رصينة وصورة جلية:

قلب اليمين على الشمال وغاص في الأوساط يحصد في الرأس ويحطم
وثنى ابو الفضل الفوارس نكصا فرأوا أشد ثباتهم أن يهزموا
ماكر ذو بأس له متقدما إلا وفر وأسه المتقدم
صبغ الخيول برمحه حتى غلدي سيان أشقر لونها والأدهم
ماشد غضباناً على ملمومة غلا وحل بها البلاء المبرم
وله إلى الأقدام سرعة هارب فكانما هو بالتقدم يسلم

(الحلي، ١٣٧٠: ٤٣٠ - ٤٣١)

يصف الشاعر شجاعة العباس (عليه السلام) في هذه الأبيات بطريقة قوية ومؤثرة، مع التركيز على بطولته في ساحة القتال وخوف، تصور هذه الثنائية تراجع العدو أمام العباس منهزمين منكسرين، لأنهم لا يقدرّون على مواجهته، فالعباس في تقدم مستمر يصبغ الخيول بدماء الأعداء حتى تتساوى ألوانها فتصبح كلها حمراء بلون الدماء، وهذا الهجوم يتصف بالغضب والجدية ليرعب الأعداء ويكسرهم، فتراهم يهربون بسرعة منه أي أن تقدمه في المعركة كان كفيلاً بحمايته وإرهاب الأعداء حتى ينجو من الأذى، فيظهر العباس (عليه السلام) في هذا المقتبس بطل لا يقهر، شجاع مقدام، يجعل الأعداء يفرون بمجرد رؤيته، بينما هو ثابت كالجبال، كما يبرز خوف الأعداء منه وهروبهم، مما يعكس هيئته وقوته في ساحة القتال

ويضيف الشاعر البيت تلو البيت واصفاً شجاعة البطل عباس، حيث يقول:

بطل تورث من ابيه شجاعة فيها أنوف بني الظلالة ترغم
يلقي السلاح بشدة من بأسه فالبيض تلثم والرمح تحطم
عرف المواعظ لا تفيد بمعشر صموا عن النبأ الأعظم كماعموا
فانصاع يخطب بالجماجم والكلى فالسيف يثر والمثقف ينظم

(الحلي، ١٣٧٠: ٤٣١)

ورث العباس الشجاعة والبسالة من ابيه أمير المؤمنين (ع)، وكان يطارد العدو مطاردة دؤوبة، وكانت عزمته الشرسة تُثير الرعب في قلوب أعدائه، فشتت قواهم، وشجاعته الثابتة تجعله قوةً هائلةً في ساحة المعركة، تضمن النصر لجانبه وفي هذا المشهد المبني على توظيف الثنائيات المتضادة تري التشتت والخوف جلياً في موقف الأعداء حيث يرسم الشاعر صورة العباس المقدم دون منازع ينفرد في ساحة القتال وبهذا التوظيف استطاع الحلبي أن يبرز القوة الصامتة النابعة من الإيمان والعزيمة في شخصية العباس (ع) وبقية الصحابة وفي المقابل نشاهد المواقف المتزعزعة وغير الثابتة في شخصيات الجيش الأموي

٣-٤ ثنائية الحزن والألم

وصى النبي (ص) في حياته بمودة أقاربه والمحبة لآله، عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمة، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي» (الطبري، لاتا، ج: ١: ٣٩٦) فحب أهل البيت ومودتهم تنبع من حب الرسول ووصيته لكن ما شهدته العالم الإسلامي بعد الرسول (ص) كان مختلفاً عن المتوقع، وأخذت الحكومات تتأثر منهم وتكلمهم وتشردهم وصور الحلبي هذه الثنائية المبنية على رفض وصية رسول الله (ص) والابتعاد عن تعاليمه بصورة فنية ومحزنة ألوانها الحزن والتسائل وأصعب مصيبة مرّت على أهل البيت هي كربلاء حيث يصورها الحلبي بأنّها تكسر الظهر وتدمي المحاجر:

من لي بيوم وغى يشب ضرامه

ويشيب فود الطفل منه فيهرم

(الحلي، ١٣٧٠: ٤٢٩)

يستخدم الشاعر تعابير بلاغية وثنائيات ضدية واضحة لبيان أبعاد الألم والفاجعة، فالحلي يريد العون والمساعدة على تذّكر يوم شديد الظلمة والكرب حيث يشير إلى يوم كربلاء بأنه يوم مظلم ومليء بالحزن، مما يعكس حجم المأساة، وتشبّ النار في هذا اليوم وهي رمز للألم والمعاناة، وكأن مصيبة كربلاء نار متقدة لا تنطفئ حتى ترى خصل شعر الطفل يشيب منه فيهرم قبل الأوان، وهذه الصورة تظهر هول المأساة لدرجة أن الطفل الصغير يشيب شعره من الرعب والحزن، وكأنه أصبح شيخاً في لحظة ووظّف الشاعر ثنائيات ضدية متعددة للتعبير عن الحزن فجاء بالطفولة مقابل الشيب والهزم، فالطفل الذي يرمز للبراءة والحيوية، نراه «يشيب ويهرم» بسبب هول المصيبة وأحزانها فيقوم الحلبي بردف المتناقضات حتى «يعانق في إطاره الشيء نقيضه، ويمزجه به مستمداً منه بعض خصائصه تعبيراً عن الحالات النفسية، والأحاسيس الغامضة المبهمة التي تتعانق فيها المشاعر المتضادة وتتفاعل» (عشري زايد، ٢٠٠٢: ٩٢) فالحزن يطغى على تعابير الشاعر ليرسم صورة مأساوية من مشاهد السبي والقتل والدمار، ويضيف الشاعر ثنائية النار والضرام أي اللهب حتى يبيّن العنف والدمار الشامل الذي لحق بالأطفال والنساء حتى يتقلص الزمان عنده وينكسر بفعل المصيبة والألم، وبهذا الأسلوب استطاع الحلبي أن يشعر القارئ بالصدمة والألم، وكأن المأساة لا تُحتمل حتى على الصغار الأبرياء

ويرسم الحلبي مشهداً درامياً تختلط فيه العبرة والدمعة بين غربة الحسين (ع) ودمعته على فراق العباس (ع)، وتلعب الثنائيات في هذه الصورة الدور البارز حيث تختلق شعوراً متناقضاً مبني على الحزن والعتاب والرحيل من جانب، وعلى الشماتة الأعداء من جانب آخر:

للشاريين به يداف العلقم
بين الخيام وبينهم متقسم
بدر بمنحطم الوشيح ملثم
صبغ البسيط كأنما هو عندهم
لم يدمه عض السلاح فيلثم
صم الصخور لهوله تتألم
ترضى بأن أرزى وأنت منعم
إن صرن يستر حمن من لا يرحم
وتكف باصرتي وظهري يقصم
إلا كما دعوك قبل وتعم
ولواك هذا من به يتقدم
والجرح يكنه الذي هو ألم
لقليل في بكاك متمم

وهوى بجنب العلقمي فليته
فمشى لمصرعه الحسين وطرفه
ألفاه محجوب الجمال كأنه
فأكب منحنيا عليه ودمعه
قد رام يلمث فلم يرى موضعا
نادى وقد ملأ البوادي صيحة
أخي يهنيك النعيم ولم أخل
أخي من يحمي بنات محمد
ما خلت بعدك أن تشل سواعدي
ما بي مصرعك لفضيع وهذه
هذا حسامك من يذب به لعدا
هونت يابن أبي مصارع فتية
يا مالكا صدر الشريعة إنني

(الحلي، ١٣٧٠: ٤٣-١٤٣-٤٣٢)

يعتمد المشهد على الصورة الحركية للألم حيث يُظهر الحلي الحسين (ع) وهو يمشي نحو مصرع العباس بخطى ثقيلة، ونظرة متقسّم بين الخيام وأخيه، مما يعكس حالة التشتت والذهول التي يعيشها وكأنها لحظة حاسمة تنتهي بها المعركة ويبدأ السبي والتشريد، كذلك يبرز الشاعر انحناء الحسين (ع) على جسد العباس واتهمار دموعه التي «صبغت البسيط»، مما يوحي بأن الدمع اختلط بالتراب كأنه «عندم» أي الدم الممزوج بالتراب

علاوة على ذلك تظهر صرخة الحسين (ع) التي «ملأت البوادي» حتى أنّ «الصم الصخور» تألمت من هولها، مما يضخم حجم المصيبة ويجعل الكون كله مشاركاً في الحزن، وهذه خصيصة بارزة في الثنائيات الضدية حيث تُسهم في خلق حالة من التوتر والتباين داخل النص، مما يدفع القارئ إلى التأمل في وجهات نظر وتفسيرات متعددة ومن خلال مقارنة الأفكار أو الصور المتعارضة، يدعو الشاعر القارئ إلى التعمق في تحليل النص، ويشجعه على إعادة النظر في معتقداته واقتراضاته، من هنا تلعب الثنائيات الضدية دوراً حاسماً في تشكيل استقبال النص، وتعزيز تأثيره العام على الجمهور

ومن أهم وظائفها هي «تعميق البنية الدرامية للنص من خلال إثارة الوهج الصراعى بين المتناقضات، ثم تعميق البنية الفكرية للنص من خلال حركية الجدل الصراعى بين الثنائيات المتضادة، أما الوظيفة الجمالية فتتجسد بإثارة الدهشة والمفارقة المتولدة من اجتماع النقيضين في بيت شعري واحد، وكذلك في قصيدة واحدة (الخطيب،: ٣٤) وهكذا استخدم الشاعر تقابلات لفظية ومعنوية لتعميق تأثير المصيبة مثل النعيم مقابل الرزية؛ فعندما كان العباس (ع) لم يحس الإمام الحسين (ع) بالانكسار وكان وجوده يشبه النعيم وراحة البال والحماية مقابل العجز؛ فبعد رحيل الأصحاب والعباس فقدت بنات النبي من يحرسها ويحميها، ومن هنا نستكشف الثنائية بين دور العباس (ع) كحامٍ للعائلة وبين العجز الذي حلّ بعد استشهاده والقوة مقابل الضعف؛ فتجدد الحسين (ع) معاتباً العباس بقوله «ما خلت بعدك أن تشل سواعدي» فيقابل الشاعر بين قوة العباس (ع) التي كانت سنداً للحسين

(ع) وبين الضعف الذي أصابه بعد فقدانه ومن خلال هذه الثنائيات، نجح الشاعر في نقل حزن الحسين (ع) كصورة كونية تتجاوز الفقد الفردي إلى مصيبة تُزلزل الوجود، فالتقابل بين النور/الظلام، القوة/الانهيار، والحياة/الموت جعلت الألم أكثر حدّة وواقعيّة

٤ النتائج

لعبت الثنائيات الضدية دوراً بارزاً في قصيدة «وجه الصباح» لجعفر الحلي حيث استطاع الشاعر أن يكتفّ الدلالات، والمشاعر، والتعبير بصورة مختزلة، واحاسيس متناقضة وكانت الثنائيات الضدية التالية حاضرة بقوة وبأسطة ظلالها على النصّ كله:

١ ثنائية الليل والصباح: جاءت هذه الثنائية بدلالات مكثفة عن الليل، والهيم، والأرق، حيث رسم الحلي صورة قلق في مضجع الهموم وملتقى الأفكار، فبرع الشاعر في تبين صراعاته الداخلية، واضطراباته النفسية، وبهذا الاستهلال يحثّ الحلي المتلقي على معرفة سبب أرقه وهمومه القاتمة في وجه الصباح

٢ ثنائية أهل البيت وبني أمية: استخدم الشاعر النسق المضمّر في هذه الثنائية الضدية ليكشف التناقض الصارخ بين عدالة الإمام الحسين وحقانيته، وجور أعدائه الأمويين زيف حجتهم، فالحسين مقدم بفضائله وقربه من النبوة، ويزيد مؤخر لأنه بعيد عن القيم الإسلامية، ومعتقده مبني على منع الحسين (ع) من الماء وتشريد آله، وبهذا التوظيف حاول الحلي الدفاع عن أهل البيت مستخدماً الثنائيات لرسم موقفين متضادّين، يساعد القارئ في اختيار الموقف الأمثل

٣ ثنائية الخوف والشجاعة: أشاد الحلي بمواقف الأصحاب وثباتهم في المعركة مع قلة العدد، وفي المقابل صور إرادة الأعداء المترعزة والمتصفة بالخوف والترديد ورسمت هذه الثنائية الضدية صوراً بلاغية فعالة تدلّ العزيمة الجادة والأقدام الثابتة للحسين وأصحابه وبلغت ثنائية الشجاعة والخوف ذروتها في المشهد البطولي لقتال العباس (ع)، حيث يكرّ بوجه مبتسم لا يعرف الخوف والوجل، في حين ترى أعدائه منكسرة العزم والقوى، تتخذ الفرار والهروب مطيّة لنجاتها

٤ ثنائية الحزن والألم: يكشف الحلي الألم الذي لا يطاق في ملحمة الطف بتصويره الطفل المنكسر والهيم من شدّة الحزن والنار المتقدة علاوة على ذلك يصوّر الشاعر مشهداً درامياً في قتل العباس (ع) حيث تختلط دمعة الحسين وغرخته، بشماتة الأعداء وتماديهم، فالشاعر يبين مرحلة وجود العباس مقترنة بالعرّة، والحماية، والقوّة، وأما في مرحلة شهادته فتتقلب الموازين على الحسين (ع)، فيصبح وحيداً دون ناصر ومعين

المصادر

- ١- الأبشيهي، أبو الفتح (١٤١٩ق)، المستطرف في كل فن مستطرف، الطبعة الأولى، بيروت: عالم الكتاب
- ٢- ابن منظور، محمد بن مكرم (لاتا)، لسان العرب، المجلد الخامس عشر، بيروت: دار الفكر
- ٣- الحلبي، جعفر (١٣٧٠ش)، سحر بابل وسجع البلابل، تحقيق محمد حسين آل كاشف الغطاء، قم: منشورات الشريف رضي
- ٤- الخطيب، يوسف (٢٠٠٤)، ذاكرة الأرض؛ ذاكرة النار، الطبعة الأولى، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب
- ٥- الديوب، سمر (٢٠١٧)، الثنائيات الضدية؛ بحث في المصطلح ودلالاته، الطبعة الأولى، كربلاء: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية العتبة العباسية المقدسة
- ٦- ذهبي، عبدالله بن محمد (١٣٨٧ش)، كتاب الماء، ترجمة محمد مهدي اصفهاني، الطبعة الأولى، تهران: مؤسسه مطالعات تاريخ پزشكي
- ٧- شرتوني، سعيد (١٣٧٤ش) أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، المجلد الخامس، الطبعة الأولى، تهران: دار الأسوة للطباعة و النشر
- ٨- صليبا، جميل (٢٠٠٨) المعجم الفلسفي، الطبعة الأولى، بيروت: دارالكتاب اللبناني
- ٩- الطبري، عماد الدين (لاتا)، بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعته المرتضى عليه السلام، قم: مؤسسة النشر الإسلامي
- ١٠- طراد، مجيد (٢٠١٠) المعجم المفصل في المتضادات في اللغة العربية، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية
- ١١- عباس، إحسان (١٩٧٨)، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، الطبعة الأولى، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
- ١٢- عذاب حسن، حيدر (٢٠١٨)، «المقاربات التداولية في قصيدة (وجه الصباح) للشاعر السيد جعفر الحلبي»، مجلة المحقق، السنة ٣، العدد ٤، ٢١٨-١٨٩
- ١٣- عشري زايد، علي (٢٠٠٢)، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ط ٤، القاهرة: مكتبة ابن سينا
- ١٤- الكركي، خالد (١٩٨٧)، «رموز الرفض والثورة في الشعر العربي الحديث»، مجلة دراسات، جامعة الأردن، المجلد ١٤، العدد ٧
- ١٥- نصر، عاطف جودة (١٩٩٨)، الرمز الشعري عند الصوفية، الطبعة الأولى، القاهرة: دار المعارف

References

- Al-Ibshihi, Abu al-Fath (1419 AH). Al-Mustatraf fi Kull Fann Mustazraf (1st ed.). Beirut: Alam al-Kitab.
- Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram (n.d.). Lisan al-Arab (Vol. 15). Beirut: Dar al-Fikr.
- Al-Hilli, Ja'far (1991). Sihr Babil wa-Saj' al-Bulabil (M. H. Al Kashif al-Ghita, Ed.). Qom: Sharif Razi Publications.
- Al-Khatib, Yusuf (2004). Dhakirat al-Ard; Dhakirat al-Nar (1st ed.). Damascus: Publications of the Arab Writers Union.
- Al-Dyoub, Samar (2017). Al-Thuna'iyat al-Diddiyya: Bahth fi al-Mustalah wa-Dalalatih (1st ed.). Karbala: Islamic Center for Strategic Studies, Holy Abbasid Shrine.
- Dhahabi, Abdullah ibn Muhammad (2008). Kitab al-Ma'a (M. M. Isfahani, Trans.; 1st ed.). Tehran: Institute for the History of Medical Studies.
- Shartuni, Sa'id (1995). Aqrab al-Mawarid fi Fush al-Arabiyya wa'l-Shawarid (Vol. 5, 1st ed.). Tehran: Dar al-Uswa li'l-Tiba'a wa'l-Nashr.

Saliba, Jamil (2008). *Al-Mu'jam al-Falsafi* (1st ed.). Beirut: Dar al-Kitab al-Lubnani.

Al-Tabari, Imad al-Din (n.d.). *Bisharat al-Mustafa* (peace be upon him and his family) li-Shi'at al-Murtada (peace be upon him). Qom: Islamic Publishing Institute.

Tarrad, Majid (2010). *Al-Mu'jam al-Mufassal fi al-Mutadaddat fi al-Lugha al-Arabiyya* (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Abbas, Ihsan (1978). *Ittijahat al-Shi'r al-Arabi al-Mu'asir* (1st ed.). Kuwait: National Council for Culture, Arts and Letters.

Ithab Hassan, Haidar (2018). Pragmatic Approaches in the Poem "Wajh al-Sabah" by the Poet Sayyid Ja'far al-Hilli. *Al-Muhaqiq Journal*, 3(1), 189-218.

Ashri Zayed, Ali (2002). *An Bina' al-Qasida al-Arabiyya al-Haditha* (4th ed.). Cairo: Maktabat Ibn Sina.

Al-Kurki, Khalid (1987). Symbols of Rejection and Revolution in Modern Arabic Poetry. *Dirasat Journal*, University of Jordan, 14(7).

Nasr, Atef Jouda (1998). *Al-Ramz al-Shi'ri 'inda al-Sufiyya* (1st ed.). Cairo: Dar al-Ma'arif.

Analysis of Antithetical Binary Oppositions in Ja'far al-Hilli's Hussaini Poetry: A Case Study of the Poem 'Wajh al-Şabāh'

Yousef motaqiannia^{1*}, Abdolvahid Navidi²

¹: (Responsible author) PhD. in Arabic Literature and Language, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran. joseph.mitaghi@gmail.com

²: Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran. a.v.navidi@scu.ac.ir

Abstract

The determination of Imam al-Husayn (peace be upon him) and his self-sacrifice against oppression inspired poets to praise his virtues and courage. They saw him as a symbol of steadfastness and a beacon of hope for seekers of truth and justice. Poets highlighted this historical injustice through various expressive forms, with binary oppositions serving as a stylistic device rooted in thought and emotion, encouraging deeper reader engagement. Thus, the poem "Wajh al-Şabāh" by Ja'far al-Hilli was selected for a descriptive-analytical study, using comprehensive inductive analysis of its verses to identify opposing binaries and their doctrinal and aesthetic roles. This research addresses a prominent phenomenon in modern literary criticism and the importance of Hussaini poetry. Findings show that binary oppositions strongly permeate "Wajh al-Şabāh", where the poet condenses meanings and conflicting emotions. The night-morning binary conveys anxiety and insomnia, depicting intellectual unrest. The Ahl al-Bayt-Banu Umayya opposition subtly reveals the contrast between al-Husayn's legitimacy and his enemies' tyranny. The fear-courage binary creates rhetorical images showing al-Husayn's firm resolve, culminating in 'Abbas's (peace be upon him) battle scene, contrasting his smiling face with defeated foes. The sorrow-pain binary dramatizes 'Abbas's killing, blending al-Husayn's tears and estrangement with enemies' gloating and captivity of tents and women.

Keywords: New criticism, antithetical dualities, Husseini poetry, Ja'far al-Hilli

تحلیل تقابل‌های دوگانه در شعر حسینی جعفر حلی (با تکیه بر قصیده «وجه الصباح»)

یوسف متقیان نیا^{۱*}، عبدالوحد نویدی^۲

۱. (نویسنده مسوول) دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه شهید چمران اهواز، اهواز، ایران.

joseph.mitaghi@gmail.com

۲. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شهید چمران اهواز، اهواز، ایران. a.v.navidi@scu.ac.ir

چکیده

عزم و ایثار امام حسین (ع) در رویارویی با ستم، الهام‌بخش شاعران برای ستایش فضایل و شجاعت آن حضرت بوده است. ایشان، حسین (ع) را نماد پایداری و چراغ امید برای جویندگان حقیقت و عدالت می‌دانند. شاعران کوشیده‌اند تا این فاجعه تاریخی را با شیوه‌های بیانی گوناگون به تصویر کشند که یکی از این شیوه‌ها، استفاده از «تقابل‌های دوگانه» بوده است. این تقابل‌ها که بر پایه تفکر و عاطفه استوارند، خواننده را به تعاملی ژرف‌تر با متن فرا می‌خوانند. بر این اساس، قصیده «چهره سپیده‌دم» سروده جعفر حلی برای تحلیل برگزیده شد و با روش توصیفی-تحلیلی و با استقرای کامل ابیات شعر، تقابل‌های دوگانه موجود و نقش اعتقادی و زیبایی‌شناختی آن‌ها بررسی گردید. این پژوهش با توجه به کاربرد گسترده این مفهوم در نقد ادبی و اندیشه مدرن و همچنین اهمیت شعر حسینی، انجام شده است. یافته‌های پژوهش نشان می‌دهد که تقابل‌های دوگانه در قصیده «چهره سپیده‌دم» حضوری پررنگ دارند و شاعر توانسته است با به‌کارگیری آن‌ها، معانی، عواطف و تعبیر را به صورتی فشرده و با احساسات متضاد القا کند. حلی با استفاده از تقابل شب و صبح، با بار معنایی انباشته از غم و بی‌قراری، تصویری مضطرب و آشفتگی فکری خویش را نمایان می‌سازد. او با کاربرد تقابل اهل بیت و بنی‌امیه در لایه‌ای پنهان، تناقض میان حقانیت و اعتقاد حسین (ع) و ستم دشمنان اموی او را آشکار می‌کند. در تقابل ترس و شجاعت، این دوگانگی، تصاویری بلاغی از عزم راسخ و استواری حسین (ع) و بارانش ترسیم می‌کند که در صحنه نبرد عباس (ع) به اوج خود می‌رسد؛ آنجا که چهره خندان او در برابر دشمنان شکست‌خورده تکرار می‌شود. همچنین در تقابل غم و درد، شاعر صحنه‌ای دراماتیک از شهادت عباس (ع) تصویر می‌کند که در آن، اشک و غربت حسین (ع) با شماتت و سبیت دشمنان و به اسیری گرفتن خیمه‌گاه و زنان درهم کلیدواژه‌ها: نقد نو، تقابل‌های دوگانه، شعر حسینی، جعفر حلی